حكومة الشارقة
دائرة الشؤون الإسلامية

شرف إمام المسجد

إعداد الأستاذ الدكتور
سليمان بن سليم الله الرحيلي
أستاذ الدراسات العليا
وأستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

حكومة الشارقة - دائرة الشؤون الإسلامية

شرف إمام المسجد

إصدار
دائرة الشؤون الإسلامية
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن منطلق رؤية دائرة الشؤون الإسلامية في نشر الخير، وأداء رسالة المسجد، والقيام بواجبها الشرعي؛ فإننا نتشرف بهذا الإصدار المعنون بـ "شرف إمام المسجد"، والذي كان أصله محاضرة علمية ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور سليمان الرحيلي - الأستاذ بالدراسات العليا، وأستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية، والمدرس بالمسجد النبوي الشريف- على أئمة مساجد الشارقة، ولقد قام فضيلته بمراجعته، فجزاه الله خيراً.

نسأل الله تعالى أن ينفع به، ويجعله عوناً لأئمة المساجد على أداء مهمتهم والقيام بوظيفتهم الشريفة.

قسم الوعظ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا﴾[2]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾[3]، أما بعد:

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٦٩-٧٠.

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم معاشر الفضلاء: إن اللقاء بأهل الفضل والشرف؛ شرف، فالحمد لله الذي شرفني بهذا اللقاء، مع هذه الوجوه الطيبة المباركة، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل لقاءنا هذا مما يسرنا عند لقاء ربنا سبحانه وتعالى.

أيها الأحبة الفضلاء: هذا اللقاء لقاء أخوي عفوي، لم أُزَوِّرُ له شيئاً في نفسي، ولكني سأتكلم مع هؤلاء الفضلاء بما يحضرني مما أرى أنه يُناسب المقام.

أيها الفضلاء: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يُفضل من عباده من يشاء ويصطفي ويختار، ويُفضل من الأزمنة ما يشاء ويصطفي ويختار، ويُفضل من الأمكنة ما يشاء، وقد فضل الله عَزَّ وَجَلَّ من الأمكنة المساجد، فكانت من أحب البقاع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فثبت

عن النبي ﷺ: «أن أحبّ البقاع إلى الله المساجد»[1]، واتفق أئمة الإسلام على أن المساجد أفضل الأرض، ومن فضلها أن الله أضافها إلى اسمه الشريف سبحانه وتعالى، فقال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[2].

(إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ) فأضاف الله المساجد إلى اسمه الشريف تشريفاً لها، ووصف عامريها بأوصاف الشرف (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ) فلا يعمر مساجد الله على وجه الحقيقة إلا من آمن بالله وآمن بـ (ٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ) وما فيه من الجزاء، (وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ) فكان من مقيمها، (وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ) فكان من مؤديها، (وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ)،

---

(١) رواه البزار.

(٢) التوبة: ١٨.

لا يعمرُ مساجد الله إلا من امتلأ قلبه بالخوف من الله سبحانه وتعالى، (فَعَسَىٰٓ) وعسى في كلام ربنا للتحقيق، فهؤلاء العامرون لبيوت الله الموصوفون بهذه الصفات؛ هم (مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ).

وهي بيوتٌ الذي أذن برفعها الله، فما من بيت على وجه الأرض أذن الله برفعه إلا المساجد، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ﴾ هؤلاء رجال يستحقون وصف الرجال ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾[1].

---

(١) التوبة: ٣٦-٣٧.

(فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ) وهذه العِمارة الحسية، (وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ) وهذه العمارة المعنوية، (يُسَبِّحُ) لله (فِيهَا) وهؤلاء هم عُمّارها، رجال باعوا الدنيا بالآخرة، فـ (لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ)، (وَلَا) يلهيهم (بَيۡعٌ)، ولا تلهيهم ملاهي الدنيا (عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ)، (وَ) عن (إِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ)، (وَ) عن (إِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ)، (يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ).

فالخوف مشترك في الآيتين، فعمار المساجد على وجه الحقيقة هم الذين يخافون الله سبحانه وتعالى.

ثم بشرهم الله بثلاث بشارات ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ وهذا الجزاء، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ﴾ وهذا الفضل، ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1] هذا

---

(١) التوبة: ٣٨.

فوق الجزاء، هذا الإطماع في رزق الله في الدنيا والآخرة، وما بالك بالرزق من الله!

فعمارة المساجد شرفٌ وهي للشرفاء، الحسية منها والمعنوية، وعلى رأس عُمار المساجد، الأئمة الذين يقومون في الأمة مقام رسول الله ﷺ.

والإمامة للصلاة شرف، لذا عبر تاريخ المسلمين إنما يتولاها الفضلاء منهم، والمؤذنون الذين يرفعون شعار الإسلام، ويعلنون الشهادتين، ويُعْلمون بالوقت، ويدعون إلى الجماعة، ولذلك جاء عن النبي ﷺ أنه بشّر المؤذنين ببشارة عظيمة فقال: «من أذّن اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة، وكان له بكل أذان ستون حسنة وبكل إقامة ثلاثون حسنة»[1] وإسناده صالح للاحتجاج.

---

(١) رواه ابن ماجه.

ولا شك -أيها الإخوة- مِنْ أَنَّ الشرف؛ تقابله حقوق وواجبات، **فالمؤذنون والأئمة عليهم حقوق وواجبات، وآداب ينبغي مراعاتها:**

الأمر الأول: الإخلاص لله ﷻ

وأولها ورأسها ومقدمها: الإخلاص لله ﷻ، فالأذان عبادة وقُربة، والإمامة عبادة وقربة، في عبادةٍ وقربة، فيجب فيها الإخلاص لله ﷻ، يقول ربنا سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1]، ويقول نبينا ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2].

---

(١) البينة: ٥.

(٢) متفق عليه.

قال العلماء: هذا في كل عمل، والهجرة مثال، هذا في كل عبادة، والهجرة مثال.

فنقول في الأذان: فمن كان أذانه لله ورسوله قصداً؛ كان أذانه لله ورسوله جزاءً، ومن كان أذانه لأمر من الدنيا، أو إمامته لأمر من الدنيا؛ فليس له إلا تلك الدنيا، ومثله نقوله في الإمامة.

فلا بد من الإخلاص لله ﷻ، ولذا ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً»[1]، والإمام أولى، وأصح أقوال أهل العلم في هذا الحديث أن معناه: واتخذ إماماً لا يقصد الأجرة وإنما يقصد القربة، وليس في هذا منع من أخذ الرزق الذي يُفرض للإمام، وإنما فيه منع من قصد هذا الرزق بحيث يؤذن من أجله، ويؤمّ من أجله، فهو موظف كموظف أمور الدنيا، فيَعتبِر الأذان وظيفة يتعامل معه التعامل الإداري، ويَعتبِر الإمامة وظيفة يتعامل معها التعامل الإداري، ولا ينتبه إلى أنها قربة.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

ولذلك -يا إخوة- المؤذن إذا كان قصده من الأذان الدنيا؛ لا يحصل من أذانه خيراً ولا فضلاً ولا أجراً، وكذلك الإمام، إذا كان قصده الأصلي بالأصالة من الإمامة الأجرة والمال؛ لا يُحَصّل من إمامته خيراً ولا أجراً ولا فضلاً.

أما إذا كانت القربة مقدَّمَة، وكان المال مقصوداً تبعاً، فالصحيح من أقوال أهل العلم: أنه يُنقص الأجر ولا يُذهب الفضل.

فمن أخذ الإمامة وقصده الأصلي القربة، ولكن دخل في القصد والنية طلب المال؛ ومن أخذ الأذان كذلك؛ فالفضل أصله حاصل، ولكن الأجر ينقص.

سئل الإمام أحمد -رحمه الله- عن المُكاري يجاهد في سبيل الله، يقصد الجهاد والكراء، يعني رجل عنده دواب يُكريها يحمل عليه الناس، فيذهب مع المجاهدين يريد الجهاد في سبيل الله، ويريد تبعاً أن يأخذ الأجرة ممن يحملهم، فقال الإمام أحمد رحمه الله: "أجره على ما يخلص من نيته"، يعني: يأخذ من

الأجر بمقدار ما في نية القربة، وينقص بمقدار ما دخل من قصد الدنيا.

والكمال؛ أن العبد يقصد القربة بأذانه وإمامته، والمال سيأتيه تبعاً، لن يُحرم منه، وهذا يدخل في قول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ»[1] هذا الذي يقصد الدنيا، «فرق الله عليه أمره» فتشعبت الأمور في قلبه فكيف يطمئن، «وجعل فقره بين عينيه» فلا يرى إلا فقراً، ومهما أعطي من الأموال تجده يلهث يريد غيرها، فلا يرى إلا الفقر، ومع كل هذا «لم يأته من الدنيا إلا ما كتبه الله له»، قصده لن يغير من رزقه شيئاً؛ لأن الرزق كتب للإنسان وهو في بطن أمه، لن يزيد "فِلْساً".

«وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»، الذي يريد وجه الله؛ يجازيه الله

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره.

ﷻ باطمئنان القلب، وكل سعادة في الدنيا؛ إنما تكون باطمئنان القلب، والله! لو كان عند الإنسان الملايين الـمُمَلْيَنَة لكن لم ينزل الاطمئنان في قلبه فلن يكون سعيداً، وإنما يسعد باطمئنان القلب، وهذا لا يملكه إلا الله ﷻ، والله لا تملكه أنت، ولا يملكه ملك ولا أمير، وإنما يملكه الله ﷻ، يجازيه الله بأن يجمع عليه أمره في قلبه، ويجعل غناه في قلبه، فهو شكور، كلما رزق شيئاً؛ قال: الحمد لله الذي فضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، الحمد لله عندي أكثر من غيري، أنا أحسن من غيري، شكور! ويُحلّ الله البركة في قليله حتى يكون خيراً له من كثير الناس، ومع ذلك «أتته الدنيا وهي راغمة» لم يحرم، وهذا الكمال للمؤذن والإمام - لأني أتكلم عن هذه الفئة الطيبة - أن يقصد وجه الله، وستأتيه الدنيا تبعاً.

الأمر الثاني: الخوف من الله سبحانه وتعالى

ومما ينبغي للإمام والمؤذن أن يُراعيه؛ أن يكون عمله خوفاً من الله، ومراقبةً لله، لا يراقب مسؤولاً ولا مشرفاً ولا موجهاً، وإنما يراقب الله عز وجل، لأنّا لاحظنا أن عمارة المساجد وُصف أصحابها بالخوف من الله، فالعمارة الحقيقية النافعة هي التي تكون عن خوف الله سبحانه وتعالى، ولذا جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ، وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ»(١)، فانظر إلى هذا القيد: «يخاف مني»، الذي جعله يؤذن ويهتم بالأذان هو خوف الله، الذي جعله يقيم الصلاة هو خوف الله، الذي جعله يصلي خوف الله، فينبغي للمؤذن والإمام أن يستشعرا هذا، وأن يكون خوف الله عز وجل في قلبيهما، فيكون أداؤهما لهذا العمل نابعاً من إخلاصٍ لله وخوفٍ من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه أبو داود والنسائي.

الأمر الثالث: استشعار الأمانة

وينبغي للمؤذن والإمام أن يستشعرا الأمانة، والأمانة ثقيلة، وأثقلها أمانة الدين، وكل من ائتمن على أمانة وجب عليه أن يؤديها إلى أهلها، والنبي ﷺ قال: «المؤذن مؤتمن والإمام ضامن، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين»[1].

«المؤذن مؤتمن» ومعنى مؤتمن هنا:

أن المؤذن لا بد أن يكون أميناً، فأول شرط في اختيار المؤذن أن يكون أميناً، وأن يُعرف بالأمانة، هذا وجه.

والوجه الآخر: أن الناس يأتمنونه على أمور عظيمة من دينهم، فيأتمنونه على صلاتهم وهي أعظم أعمالهم، ويأتمنونه على صيامهم.

والوجه الثالث: أنه مُحَمَّلٌ هذه الأمانة وسيُسأل عنها بين يَدَي الله ﷻ، لأنه إن أذن قبل الوقت؛ ربما صلى الناس ولا سيما من في البيوت قبل الوقت، فلا بد أن يراعي أول الوقت،

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

وإذا أذن المغرب قبل الوقت - سواء في رمضان أو غير رمضان، لأن الأرض لا تخلو من صائم في وقت من الأوقات إلا في وقت النهي - فلو أذن قبل المغرب ربما أفطر الناس قبل المغرب، ولو أخر الأذان في الفجر؛ ربما تأخر الناس من أجله في الإمساك ففاتهم الصيام، وقد يكون الصيام واجباً كقضاء ونحو ذلك، فهذه أمانات في عنق المؤذن وسيُسأل عنها بين يدي الله ﷻ.

«والإمام ضامن» هذا لا يعني أنه غير مؤتمن، بل الإمام مؤتمن ومحمل للأمانة وهو ضامن وهذا يدل على أن مسؤولية الإمام أعظم من مسؤولية المؤذن، لأن العلماء يقولون: المؤتمن لا يضمن إلا إذا فرّط، فلو أنك ائتمنت شخصاً على مال أودعته عنده، ووضعه في المكان الذي تحفظ فيه النقود، وسُرق هذا المال، فإنه لا يضمن لأنه لم يفرّط. ولكن النبي ﷺ قال في الإمام: «والإمام ضامن» فهو ضامن على كلّ حال، وهذا يدل

على عِظم مسؤولية الإمام، ولهذا قال النبي ﷺ: «اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين» ما قد يحصل من تقصير غير مقصود.

الأمر الرابع: طلب العلم

ومما ينبغي أن يهتم به الأئمة والمؤذنون؛ أن يتعلموا ما يتعلق بعملهم فهذا من فروض الأعيان، النبي ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]، وهذا العلم الذي هو فريضة؛ منه: إذا عُين الإنسان لعلم شرعي وجب عليه عيناً أن يتعلم أحكامه، فيجب على المؤذن عيناً أن يتعلم أحكام الأذان، ويجب على الإمام عيناً أن يتعلم أحكام الإمامة - وتَعرِفون - أن الإمام قد تنوبه نائبة أثناء الصلاة، فإذا لم يكن متعلماً متفقهاً في أحكام الصلاة؛ يوقع نفسه والناس في حرج، فيتعين عليه أن يتعلم أحكام الإمامة وأحكام الصلاة، فرض عين! وإذا فرط فإنه يأثم! فينبغي أن نحرص على التفقه فيما يتعلق بالعمل الذي أسند إلينا.

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره.

الأمر الخامس: القدوة الحسنة

ومما يتعلق بالإمام: أنه ينبغي أن يعلم الإمام أنه قدوة، وأن الناس يتعلمون منه، والعوام يتعلمون منه، ولو لم يقل كلمة! يتعلمون منه في الصلاة، فبعض الناس يحفظ السورة من فم الإمام، ولذا ينبغي على الإمام أن يهتم بالقراءة الصحيحة، وأن يهتم بالتجويد على وجهه، وأن يراجع ما يريد أن يقرأه في كل صلاة، مهما كنتَ حافظاً فإن القرآن يتفلت والمسؤولية عظيمة.

فينبغي على الإمام -إذا كان سيقرأ في الصلاة الجهرية- قبل أن يصلي أن يراجع ما يريد أن يقرأ، وأن يحرص على أحكام التلاوة، أحكام التجويد، حرصاً جيداً لأن الناس يتعلمون منه.

كما ينبغي أن يحرص على العمل بالسنة في صلاته، لأن الناس يتعلمون الصلاة من فعله، وأنت - يا إمام - قد تأتي يوم القيامة بأجور عظيمة لا تُدركها؛ لأن الناس تعلموا منك سنةً أو فعلاً في الصلاة، لأن النبي ﷺ لما خطب الناس وحثهم

على الصدقة، فقام رجل من الأنصار فذهب إلى بيته فجاء بصُرّة يكاد يعجز عن حملها فوضعها بين يدي رسول الله ﷺ، فلما رآه الناس تتابعوا، فقال ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مِنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»(١)، تأملوا - رعاكم الله - هذا الذي قيل فيه الحديث لم يقل كلمة، وإنما فعل فعلاً، ذهب إلى البيت وجاء بهذه الصُّرّة فكان سبباً لتصدق الناس، فأنت - أيها الإمام - إذا حرصت على السنة وتَعَلّم منك الناس سنناً في الصلاة، فربما يكون هذا ماراً بالمسجد ورأى هذا منك وتعلمه وأنت ما تعرفه، لكنك يوم القيامة ستأتي بأجره. والعكس صحيح، فلو تُعُلّم منك شيء يخالف الشرع، أو يخالف السنة، فإنك ستحمل وزره.

---

(١) رواه مسلم.

الأمر السادس: حسن الخلق

والإمام – يا إخوة – في هذا الباب ينبغي أن يكون حسن الخلق، ويهتم بالمسجد، ويهتم بالمصلين، وأن يتواضع لهم، لأنه ورد في الحديث من الذي لا تتجاوز صلاتهم تراقيهم؛ «من أمّ قوماً وهم له كارهون»[1]، وهذه الجزئية صحيحة ثابتة في السنة.

لكن قال العلماء: من كانت كراهية الناس له شرعية إما بسبب سوء الخلق، إما بسبب إساءة الصلاة أو نحو ذلك، أما من كرهوه لأنه يطبق السنة، أو كرهوه لخير فيه فهذا لا يضره، وإنما يضرهم.

---

(١) رواه الترمذي والطبراني.

الأمر السابع: مراعاة أحوال المصلين

وينبغي أن يراعي أحوال المأمومين، وأن يكون فقيهاً، فالنبي ﷺ كان يدخل في الصلاة عازماً على إطالتها، فيسمع صوت بكاء الصبي، فيخفف من الصلاة من وَجْد أمه عليه [١].

والنبي ﷺ يقول: «مَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ»[٢]، فينبغي مراعاة المأمومين.

الأمر الثمان: العناية بالمسجد

مما يتعلق بالإمام والمؤذن؛ أنه من الشرف الذي يضافُ إلى الشرف لك؛ أن تعتني بالمسجد بنظافته الحسية، فمن الشرف أن يحرص الإمام والمؤذن على أن يكون المسجد نظيفاً، وهذا من الحسنات ومن فعل السلف، وثبت أن ابن عمر رضي الله عنهما كان

---

(١) يشير إلى الحديث المتفق على صحته أنه ﷺ قال: «إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ».

(٢) رواه البخاري ومسلم.

يُجَمّر مسجد النبي ﷺ كل جمعة، ويُجَمّر: يعني يبخره بالبخور تطييباً له.

وثبت أن النبي ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَحَكَّتْهَا، وَجَعَلَتْ مَكَانَهَا خَلُوقًا، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا»(١).

فالحرص على نظافة المسجد شرفٌ وحسنات، والله لا يُنقص من مقام الإمام؛ بل يزيده رفعة، ولا يُنقص من مقام المؤذن؛ بل يزيده رفعة.

أيضاً العناية بالمسجد المعنوية بالدروس والكلمات الطيبة النافعات، التي ليس فيها إملال ولا إخلال، فبعض الأئمة يموت في مسجده في الحقيقة، ربما مرت السنة ما قال كلمة، إلا إذا أراد أن يخاصم المأمومين! وهذا من النقص.

فإذا كُلف الإنسان به فإنه أصبح واجباً عليه، إذا كُلف من جهته المسؤولة بالدرس فإنه يصبح واجباً عليه، وإذا عُين له أن

---

(١) رواه النسائي وابن ماجه.

يقرأ كتاباً معيناً ليس فيه مخالفة شرعية في نظره من جهة علمٍ صحيح؛ فإنه يتعين عليه أن يقرأه على الناس.

الأمر التاسع: العناية بالخطبة فالخطبة أعظم رسالة

ومما ينبغي أن ندركه أيها الإخوة في هذا الباب؛ ما يتعلق بالخطابة، فالخطبة أعظم رسالة تصل إلى الناس.

الناس يأتونك راغبين، وهم في عبادة، ويستمعون، فلا ينبغي أن تُضِيع عليهم الفائدة، لا ينبغي للإمام أن يجعل خطبته نشرة الأخبار، يُجمع من الجرائد ويُلقي نشرة الأخبار على المأمومين، ولا ينبغي أن يجعل خطبته ارتجالية محضة كيفما اتفق في رأسه عندما يصعد المنبر، بل لا بد أن تكون الخطبة مُعَدّة مَعلومة ولا يلزم أن تكون مكتوبة.

لكن لا بد أن يكون الإمام الخطيب قد أعد الخطبة - وأنا أتكلم في الجملة - لأن أحياناً قد يُعطى الخطيب خطبةً طيبة أعدت له وليس فيها بأس فيخطب بها.

كما أنه ينبغي أن يهتم بِلُغتها، فلا ينبغي أن تكون الخطبة بِلُغة العوام، ولا يليق للخطيب أن تكون لغته مكسرةً لا يلتفت فيها إلى نحو ولا إلى بلاغة، فإن البلاغة تأسر القلوب، فينبغي أن يحرص في خطبته على اللغة والبلاغة والعبارة البليغة مع الحرص على عدم التطويل، فإن من مَئِنّة فقه الرجل أن تقصر خطبته، وأن تطول صلاته بالنسبة للخطبة[1]، وإذا نظرنا في خطب المتقدمين التي نقلت إلينا من خُطب رسول الله ﷺ، إلى خُطب أبي بكر رضي الله عنه، إلى خُطب عمر رضي الله عنه، إلى خُطب عثمان رضي الله عنه، إلى خُطب علي رضي الله عنه، إلى خُطب الفضلاء إلى قريب؛ نجد أنها دائماً مختصرة، يستطيع الناس استيعابها وفهمها والعمل بها.

أما أن ينظم الخطيب الخطبة حتى يُنسي بعضها بعضاً! فهذا من المعيب في الخطابة.

---

(١) يشير إلى قوله ﷺ: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا» رواه مسلم.

الأمر العاشر: الحرص على التأصيل الشرعي

فالاهتمام بالأصول الشرعية، والكليات التي يحتاجها الناس؛ أمر في غاية الأهمية، فنحن في زماننا هذا، وفي أيامنا هذه، يحتاج الناس إلى ربطهم بالعقيدة والتوحيد، وبيان أن التدين الصحيح لا يجلب شراً، وإنما يجلب خيراً، وأن الخلل الواقع ليس من التدين، وإنما في عمل بعض الذين ينسبون أمورهم إلى الدين.

وأن يُؤصّل للناس طاعة ولي الأمر في غير معصية الله، فإن الأمة كلها بحاجة عظيمة في هذه الأيام لأن يؤصّل لهم هذا الأمر الشريف ديانةً وقربةً إلى الله ﷻ، لأن هذا من أصول ديننا.

وأن يُؤصل لناس أن الخير في لزوم السنة، وأن يُحذر الناس من الفتن، فإنا نرى أن الفتن تضرب في بلدان المسلمين، فواجب الخطباء والأئمة أن يُحذروا الناس من هذه الفتن بعلم متين مبني على قال الله قال الرسول ﷺ وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ينبغي أن نهتم -يا إخوة- بهذه الأمور، وهذا من الاهتمام بأمور المسلمين.

أيها الفُضَلاء: إن الذي يريد العزة للأمة، ويريد الخير للأمة، ويريد النصرة للأمة؛ إنما الطريق أن يسعى في إعادتهم إلى ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، لأن هذا هو وقت العزة، وهذا هو وقت الاجتماع، فالعزة والخروج من هذه النكبات التي يعيشها كثير من المسلمين إنما هو في الرجوع إلى الأمر الأول، وكما قال الإمام مالك رحمه الله: "إنه لن يُصْلِحَ آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها" هذا في زمنه! فكيف في زمننا الذي تلونت فيه الدنيا!

والله! لن يصلح أمتنا اليوم؛ إلا أن تعود عودة صادقة إلى ما كان في زمن النبي ﷺ وفهمه صحابة رسول الله ﷺ.

ومن واجبنا بل من أعظم الفرائض علينا -نحن الأئمة والوعاظ والخطباء- أن نجتهد في إعادة الناس إلى الأمر الأول، وأن نحذرهم من البدع والمحدثات، فإنها لن تجلب إلى الأمة إلا الشر والفرقة والضعف والوهن والبعد عن العزة والخير.

فينبغي أن نهتم بهذا الأمر، وأن نعتني به، وهذا لا يعني أن لا نأخذ الجديد النافع في أمور دنيانا؛ بل الأخذ بهذا من الأمور التي يحث عليها شرعنا ما لم يكن فيه محظور شرعي.

الحقيقة -أيها الإخوة- أن الكلام مع أمثالكم لا يُمل، ومن رأى هذه الوجوه الطيبة؛ انساب الكلام من فيه انسياباً لما يراه من أهل الخير والفضل، ولكني أختم لأن الوقت الذي حدد لي انتهى.

وصية في الختام

أختم بأن أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله، وأن نعلم أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأن الدنيا كلَّها قليل، وأن الباقي منها قليل فقد اقتربت الساعة، وأن الذي لنا نحن منها قليل، والله أعلم كم بقي من قليلنا.

والشأن العظيم هو عندما نقف بين يدي الله، ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر

تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار يقول النبي ﷺ: «فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[1].

وأوصي نفسي وإخواني بأداء الأمانة، فإنا سنُسأل عنها في مقام عظيم، وبالتعاون على البر والتقوى، وبالحرص على الخير والازدياد من العلم، وأن نعلم أن العلم لا يُشبع منه، العلم كلما أخذتَ منه؛ كلما رغبتَ في الزيادة وعلمتَ أنك تجهل، فإياك أن تقول "قد وصلت"، فمن قال قد وصلت فقد جهل، فإذا كان ربنا يقول لنبينا ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]؛ فما بالنا نحن.

مهما تقدمتَ في العلم وارتفعتْ مكانتك؛ لا ينبغي أن تتكبر على العلم، بل تَتَعَلم، وتستفيد محتسباً الأجر في ذلك وتَعْلم أنك بحاجةٍ إلى أن تلقى الله ﷻ.

فأسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يفقهني وإياكم في دينه، وأن يجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وأن

---

(١) متفق عليه.

(٢) طه: ١١٤.

يعيننا على أداء ما وجب علينا، وأن يرقق قلوبنا لطاعته، وأن يجعلنا أنصاراً للتوحيد والسنة، وأن يكفينا شرور أنفسنا والشياطين، وأن يقي بلادنا وبلاد المسلمين شرّ الفتنِ وأهلها، وأن يُقر أعيننا بنصرة السنة وأهلها، وظهور السنة وعودة أمة محمد ﷺ إلى سنته ﷺ، وأن يرفع الكرب عن إخواننا المسلمين في كل مكان، وأن ينصر المظلومين من المسلمين، وأن يدحر أعداء المسلمين في كل مكان.

وأسأل الله ﷻ كما جمعنا في هذا المسجد المبارك، في هذا المقام المبارك أن يجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحب في الفردوس الأعلى، وأن لا يحرم منا أحداً.

والله تعالى أعلا وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.

* * *

المحتويات

المقدمة ٢
بسم الله الرحمن الرحيم ٣
المؤذنون والأئمة عليهم حقوق وواجبات، وآداب ينبغي مراعاتها: ٩
الأمر الأول: الإخلاص لله ﷻ ٩
الأمر الثاني: الخوف من الله ﷻ ١٤
الأمر الثالث: استشعار الأمانة ١٥
الأمر الرابع: طلب العلم ١٧
الأمر الخامس: القدوة الحسنة ١٨
الأمر السادس: حسن الخلق ٢٠
الأمر السابع: مراعاة أحوال المصلين ٢١
الأمر الثمان: العناية بالمسجد ٢١
الأمر التاسع: العناية بالخطبة فالخطبة أعظم رسالة ٢٣
الأمر العاشر: الحرص على التأصيل الشرعي ٢٥
وصية في الختام ٢٧

* * *

06 / 5055888 Pin : 7E989171 0561888292
Islamic_affairs Islamic_affairs